٥ ـ فى العقد

لأستاذ جليل

٣٥ — (ص ٢٢١) ... وأنا أنظر متى يرمينى بسهم يقصد به قلبى ...

قلت: ضبطت بقصد بفتح الياء وكسر الصاد وإنما هى يُقصد فى الأساس: رماه فأقصده وتقصده: قتله مكانه. قال أبو حية النميرى:

رمين فأقصدن القلوب ولم تجد دماً مائراً إلا جوى فى الحيازم!

وروت النهاية لحميد بن ثور:

أصبح قلبى من سليمى مُقصدا إن خطأ منها وإن تعمُّدا!

٣٦ — (ص ٣٠٩) إبرهيم بن المهدى قال: قال لى جعفر ابن يحيى يوماً إنى استأذنت أمير المؤمنين فى الحجامة وأردت أن أخلو وأفر من أشغال الناس وأتروّح، فهل أنت مساعدى؟ قلت: جعلنى الله فداك، أنا أسعد الناس بمساعدتك، وآنس بمخالاتك...

قلت: إن قصد بـ(أتروّح) التروح بنفسه بالمروحة[1] — وما أظن ذلك — فاللفظة فى مكانها وإلا فهى (أتوحد[2]) كما جاء فى الشرح فى (العقد) أو أستوحد[3]، أى أنفرد، أو أستريح

وقوله (بمخالاتك) فيه تحريف، قد يكون أصله بمخانثك أو مخادنتك (أى صحبتك) أو خلوتك أو إخلائك، يعنى خلوته وإخلاءه به أو إليه أو معه. و(آنس) هى آنسهم

ومن معانى (المخالاة) فى اللغة: الترك. المتاركة. المخالفة. المبارزة. المصارعة. قال: (ولا يدرى الشق بمن يخالى). قال الأزهرى: كأنه إذا صارعه خلا به فلم يستمن واحد منهما بأحد. وكل منهما يخلو بصاحبه[4]. وهذا التفسير المتوهم لا ينعش اللفظة المحرفة

٣٧ — (ص ١٣٣) ونظير هذا قول قطرى بن الفجاءة:

(١) فى الأساس: روح عليه بالمروحة، وتروح بنفسه
(٢) وحد وتوحد بمعنى منفرداً (التاج)
(٣) استوحد: انفرد (الأساس)
(٤) اللسان. وفى الأساس: خالته مخالاة: وادعته. وتخلى من الدنيا وخالاها مخالاة، وما أحسن مخالاتك الدنيا!

أو قصيدة كقصيدة المازنى فى مداعبة العقاد[3]

ونقيّد (رابعاً) أن الهجاء لا يزال من الفنون الأدبية فى العراق، وإن كان لا يُنشر فى الجرائد ولا يسجل فى المطبوعات؛ وهذا الفن لم يبق له فى مصر مجال، وإن كان تهاجى الصحف الحزبية فى مصر قد وصل إلى أبعد الآفاق فى النمز والتجريح!

ونقيد (خامساً) أن أشعار المجون لها بقايا فى العراق، وهى أشعار تغلب عليها لطافة الدعابة وخفة الروح، وهذا الفن قد انعدم فى مصر بموت «الحاج» محمد المراوى، وإنما قلت «الحاج» لأن قبره بنكاهة يتعثر بها تراه، فقد نظم المراوى قصائد مجونية تفوق مجونيات أبى نواس، إن جاز القول بأن الدنيا عرفت ماجناً يفوق أبا نواس، إلا أن يكون الماجن هو المراوى، وكان رحمه الله غاية فى التقى والعفاف، ولم ينظم أشعار المجون إلا حباً فى تزويد الأدب بمختلف الألوان

ثم نقيد أن للأدب العراقى خصيصة تفوق تلك الخصائص وهى إمعانه فى الصدق، فهو صورة لما يعانى العراق من خطوب وما يطمح إليه من آمال، ولو عُصِر الروح العراق كما يُعصَر الورد لكان عصيره دموعاً تشبهها الحمامة الموصلية يوم فراق الأليف

أما بعد، فهذا تمهيد للكلام عن الأدب العراق، وهو تمهيد أردنا به تحديد المرحلة التى قطعها العراق ليصل إلى ما وصل إليه من إعزاز اللغة العربية، وأردنا به النص على روافد الأدب وخصائص الأدب فى ذلك القطر الشقيق

ومن المحتمل أن يكون فى الأحكام التى سقناها فى هذا التمهيد ظلٌ من الخطأ الطفيف، ولكنها فى الجملة تستند إلى قواعد سليمة من آفات الميل والانحراف. فما الذى ستسمع بعد هذا التمهيد؟

سنتحدث عن الأدب الحديث فى العراق بالتفصيل، وبأسلوب يقرّبه إلى أذهان القراء كل التقريب، وسنرى ويرى معنا قراء الرسالة فى مختلف البلاد العربية أن البلاد التى أنجبت المتنبى والرضى خليقة بأن تؤيد ماضيها الجميل بحاضر جميل

وما توفيقى إلا بالله، عليه توكلتُ، وإليه أُنيب زكى مبارك

(حاشية): سنتبع فى الأبحاث الآتية أحكاما لا يرضى منها جميع الأدباء فى العراق، فليعرفوا سلفاً أن الغرض من هذه الأبحاث هو التعريف بالأدب العراقى على حقيقته بلا تزيين ولا تهويل، ليكون العراقيون على بينة من صورهم الصحيحة فى أذهان من محبوم حباً من الزمان. والقصة الحق لا تعاب، وإنما يعاب الرفق المصنوع. وإنعانى بأن أدباء العراق لا تؤذيهم كلمة الحق هو الذى يشجعنى على المضى فى هذا الدرس الصريح. (ز. م)

(٣) السبب فى انعدام هذا الفن بمصر هو إقبال الأدباء المصريين على درس المذاهب السياسية والاجتماعية

وقولي كلما جشأت لنفسي من الأبطال ويحك لا تراعي
فإنك لو سألت بقاء يوم على الأجل الذي لك لم تطاعي

قلت : رواية البيت الأول هي هذه :

أقول لها وقد طارت شعاعاً من الأبطال ويحك لن تراعي

وهو مطلع مقطوعة رواها أبو تمام في حماسته وابن خلكان في الوفيات . وجاء فيهما بعد ذينك البيتين :

فصبراً في مجال الموت صبراً فما نيل الخلود بمستطاع
ولا ثوب البقاء بثوب عز فيطوى عن أخي الخنع اليراع(٥)
سبيل الموت غاية كل حي فداعيه لأهل الأرض داعي
ومن لا يُعتبط يسأم ويهرم وتسلمه المنون إلى انقطاع
وما للمرء خير في حياة إذا ما عُد من سقط المتاع

قال ابن خلكان : هذه الأبيات تشجع أجبن خلق الله ، وما أعرف في هذا الباب مثلها ، وما صدرت إلا عن نفس أبية ، وشهامة عربية !

ومن قول قطري(٦) :

ألا أيها الباغي البراز تقربن أساقك بالموت القعاف المقشبا(٧)
فما في تساقي الموت في الحرب سبة على شاربيه فاسقني منه واشربا

٣٨ — (ص ١٩٠)

أو أبلق ملأ العيون إذا بدا من كل لون معجب — بنموذج(٨)

قلت : البيت للبحتري في قصيدة في الخيل : والرواية في الديوان وشفاء الغليل والتاج هي : أو أبلق (يلق) العيون ... ويلق في هذا المقام أدق من (ملأ) وأكثر بحترية ...

٣٩ — (ص ١٨٧)

إمليسة إمليدة لو عُلّقت في صهوتيه العين لم تتعلق

وجاء في الشرح : إمليسة إمليدة : أملس أملد ، أي لين ناعم . والذي وجدناه في كتب اللغة أن الأمليسة : الصحراء التي لا شيء فيها من نبات ونحوه ، فاستعاره الشاعر هنا للفرس

قلت : روى البيت في العقد في قصيدة لحبيب يصف فرساً . وأغلب الظن أن القول هو أمليسه أمليده . والهاء في اللفظتين ضمير يعود إلى (الأدهم) في بيت جاء في الديوان المطبوع بعد هذا البيت :

صافي الأديم كأنما ألبسته من سندس برداً ومن إستبرق

والأمليد والأملود الناعم ، وإمليس أفعيل من الملاسة ، النعومة

٤٠ — (ص ١٧٧) وقيل لرجل جبان في بعض الوقائع : تقدم . فأنشأ يقول :

وقالوا تقدم قلت لست بفاعل أخاف على نخارتي أن تحطما
فلو كان لي رأسان أتلفت واحداً ولكنه رأس إذا راح أعتما

قلت : زاد الناسخون الواو في أول البيت وصاحبه لم يجلبه وفي البيت خرم(٩) ، وهو في شعرهم كثير ، والحركة في (لي) تطبيع

٤١ — (ص ٤٢) وقال ابن قتيبة : لم يقل في الهيبة مع التواضع بيت أبدع من قول الشاعر في بعض خلفاء بني أمية :

يغضي حياء ويغضى من مهابته فما يُكلم إلا حين يبتسم

وجاء في الشرح : الشاعر هو الفرزدق

قلت : الذي قاله ابن قتيبة في (الشعر والشعراء) هو هذا : « تدبرت الشعر فوجدته أربعة أضرب : ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه كقول القائل :

في كفه خيزران ريحها عبق من كف أروع في عرنينه شمم
يغضي ... البيت . لم يقل أحد في الهيبة أحسن منه »

والبيت للحزين الليثي (عمرو بن عبد وهيب) في أبيات قالها في عهد الله بن عبد الملك « ووفد إلى مصر وهو واليها » كما جاء في معجم الشعراء للمرزباني ، وقد نسب البيت في كتب كثيرة

---

(٥) أخو الخنع الذليل ، والخنوع الذلة (اليراع) القصبة التي لا جوف لها . والرجل الذي لا قلب له جبان كأنه لا جوف له . فوضع اليراع مكان الجبان لأنه بمعناه (التبريزي)

(٦) كان طامة كبرى وصاعقة من صواعق الدنيا في الشجاعة والقوة وله مع المهالبة وقائع مدهشة ، وكان عربياً نصيحاً مفوهاً وسيداً عزيزاً وشعره في الحماسة كثير (أعلام الزركلي عن سنا المهتدي المخطوط)

(٧) القعاف سم ساعة ، المقشب : الذي قد خلط به أدوية قتالة (التبريزي)

(٨) النموذج : مثال الشيء أي صورة تتخذ على مثال صورة الشيء ليعرف منه حاله ، معرب نموره ، والعوام يقولون نموه ، والأنموذج بضم الهمزة لحن ، كذا قاله الصاغاني في التكملة وتبعه المصنف ، قال شيخنا نقلا عن التواجي في تذكرته : هذه دعوى لا تقوم عليها حجة ، فما زالت العلماء قديما وحديثاً يستعملون هذه اللفظة من غير نكير (التاج)

(٩) الخرم حذف أول الوتد المجموع من أول البيت كحذف فاء فعولن هنا . وفي قول الشنفري (لاتعيروني أن قبري محرم) الرسالة ٣٩٩ ص ٢٠٧ وقد جاء في الشرح : في البيت خزم ، وهذا تطبيع وإنما هو خرم

إلى الفرزدق خطأ ، وربه أولى به ، وفى الرسالة ٣١٦ ص ١٤٥٠ بحث فى هذه النسبة وأبيات الحزين

٤٢ — (ص ١٤٤) . . . أى المكائد فيها أحزم . قلت : هى المكايد مثل المخايل ؛ وهمزُ قراء معايش على التشبيه بصحائف خطأ . وقد وردت اللفظة فى الشرح وفى الصفحة ٢٤٣ مضبوطة

٤٣ — (ص ٨٠)

لو عُدّ قوم وقوم كنت أقربهم قربى وأبعدهم من منزل الذام

قلت : البيت فى مقطوعة منسوبة إلى هشام الرقاشى ، وقد ذكرت فى الشرح روايات مختلفة لها ، ورواية الحماسة والخزانة[١٠] التى لم يشر إليها قد تكون أصحها ، وهى هذه[١١]

أبلغْ أبا مِسمع عنى مغلغلة وفى العتاب حياة بين أقوام[١٢]

أدخلت قبلىَ قوماً لم يكن لهم

فى الحق أن يدخلوا الأبواب قدامى

لو عُدّ قبر وقبر كنت أكرمهم ميتاً وأبعدهم من منزل الذام[١٣]

فقد جعلت إذا ما حاجتى نزلت بباب دارك أدلوها بأقوام

٤٤ — (ص ٣٥٤) ومنهم (أى من الأجواد) يزيد بن حاتم . كتب إليه رجل من العلماء يستوصله ، فبعث إليه ثلاثين ألف درهم . وكتب إليه : أما بعد فقد بعثت إليك بثلاثين ألفاً لا أكثرها امتناناً ، ولا أقللها تجبراً ، ولا أستثيبك عليها ثناء ، ولا أقطع لك بها رجاء . والسلام

قلت : فبعث إليه بثلاثين ألف درهم ، كما جاء بعد ذلك ، والتعدية بالباء هنا أسلم ، ولقولهم بعثه وبعث به قصة طويلة أنقل بعض ما قيل فيها :

فى اللسان : بعثه أرسله وحده ، وبعث به أرسله مع غيره . . .

فى درة الغواص فى أوهام الخواص : ويقولون بعثت إليه بغلام وأرسلت إليه هدية ، فيخطئون فيهما لأن العرب تقول فيما يتصرف بنفسه بعثته وأرسلته[١٤] ، كما قال تعالى : (لقد أرسلنا رسلنا) ، وتقول فيما يحمل بعثت به وأرسلت به ، كما قال سبحانه إخباراً عن بلقيس : (وإنى مرسلة إليهم بهدية)

فى شرح الدرة للخفاجى : قال ابن بَرّى : بعثت يقتضى مبعوثاً متصرفاً كان أو لا ، تقول : بعثت زيداً بغلام وبكتاب ، فلهذا لزمته الباء ، وكذا أرسلت يقتضى مرسلاً ومرسلاً به متصرفاً كان أو غير متصرف . . .

فى المصباح : كل شىء ينبعث بنفسه ، فإن الفعل يتعدى إليه بنفسه ، وكل شىء لا ينبعث بنفسه كالكتاب والهدية ، فإن الفعل يتعدى إليه بالباء فيقال بعثت به . وأوجز الفارابى فقال : بعثه أى أهبّه[١٥] ، وبعث به : وجهه . . .

وروى خبر (العقد) فى (الأمالى) وفيه (روح بن حاتم) مكان (يزيد بن حاتم) و (لا أقللها تكبراً) مكان (لا أقللها تجبراً) و (تمننا) مكان (امتنانا)[١٦]

ونقل البغدادى فى (الخزانة) هذا الخبر من بن عبد ربه ، أى من (العقد) ، وفيها (لا أقللها تحقيراً)

وقد حوت خزانة كتب البغدادى نسخة من (العقد) ؛ وقد تكون هى الصحيحة المضبوطة . فأين هذه النسخة وأين سائر كتب الرجل التى سماها فى مقدمة مصنفه وهى — كما قال — :

« المواد التى اعتمدنا عليها ، وانتقينا منها ، وهى ضروب وأجناس » ؛ وقد « اجتمع عنده بفضل الله من الأسفار ، ما لم يجتمع عند أحد فى هذه الأعصار »

وقد كان البغدادى فى القاهرة ، وفيها خزانة كتبه العجيبة المدهشة ، والعهد قريب . قال فى آخر مؤلفه : « وكان ابتداء التأليف بمصر المحروسة فى غرة شعبان من سنة ثلاث وسبعين وألف . وانتهاؤه فى ليلة الثلاثاء الثانى والعشرين من جمادى الآخرة من سنة تسع وسبعين . فتكون مدة التأليف ست سنين مع ما تخلل فى أثنائها من العطلة بالرحلة . فإنى لما وصلت إلى شرح الشاهد (٦٩) بعد (٦٠٠) سافرت إلى قسطنطينية فى الثامن عشر من ذى القعدة من سنة سبع وسبعين ،

(١٠) ج ٣ ص ٣٤٥ (١١) فى الخزانة : أوردها أبو تمام والأعلم الشنتمرى وصاحب الحماسة البصرية فى حماساتهم لمسلم بن هبيد الزماني ونسبها الجاحظ فى كتاب البيان لهمام الرقاشى ، وفى الشرح فى العقد : ونسب (الشعر) فى عيون الأخبار إلى أبى القمقام الأسدى

(١٢) المغلغلة : الرسالة لأنها تتغلغل إلى الانسان حتى تصل إليه من بعد ، من قولهم تغلغل الماء إذا أدخل بين الأشجار (الخزانة)

(١٣) قال الطبرسى : يريد لو عدت القبور قبراً قبرا إلا أنه اختصر وحذف القبور وجعل القبر فاعلا (نائب فاعل) وأزاله عن سنن الحال. وتبل معناه لو عد قبرى وقبر الداخل قبلى لكنت أكرم منه ميتا ، والقدام لغة فى القدم

(١٤) قلت : هل يرى الحريرى الريح والصبح والحاصب مما يتصرف بنفسه ؟ فى (الكتاب) : إذا أرسلنا عليهم الريح ، إذا أرسلنا عليهم حاصبا ، إنا أرسلنا عليهم صيحة . . .

(١٥) أهبه : تبهه ، يعثه من منامه وهب السيف اهتز وأهبه هزه . . .

(١٦) هدى بعث فى (الأمالى) فى الجملتين بالباء